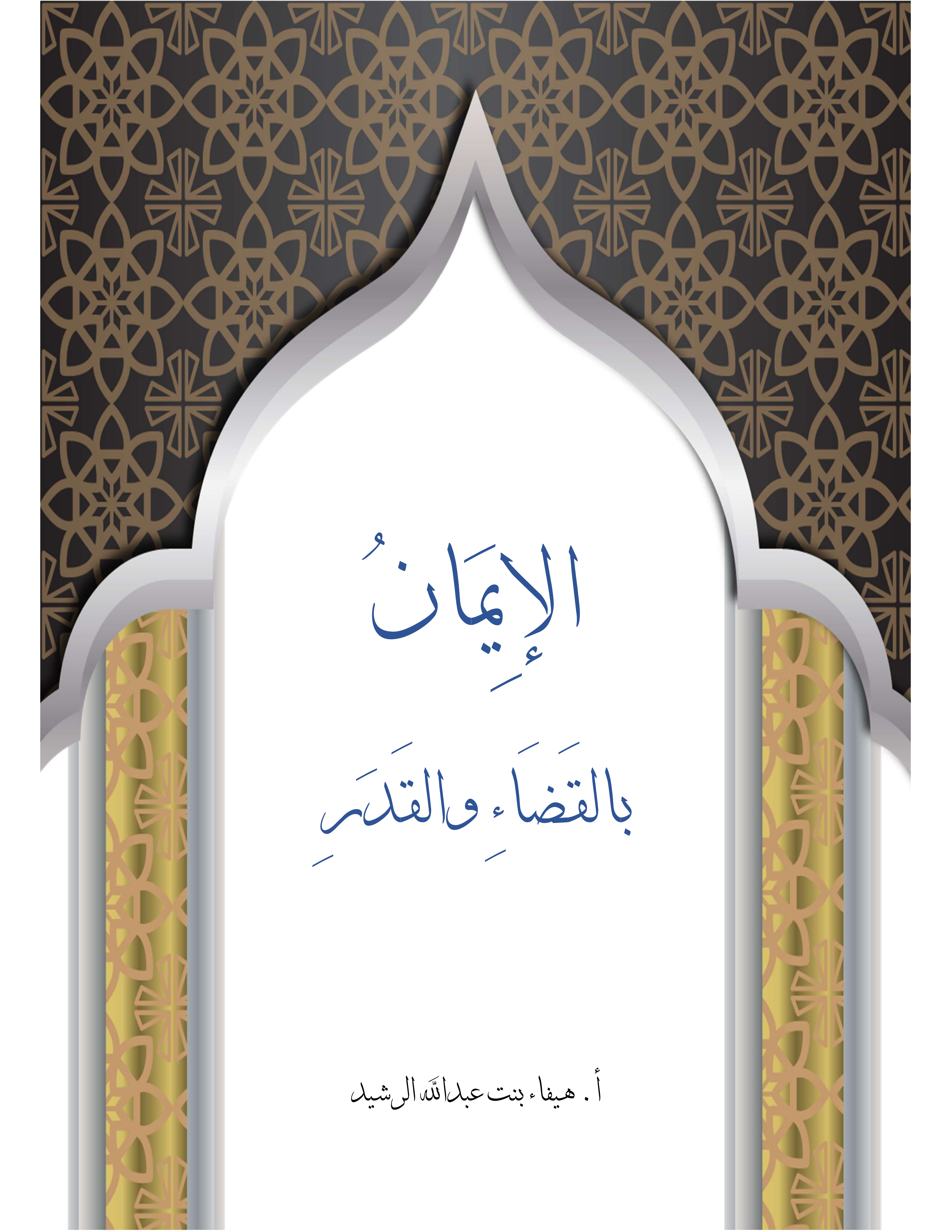
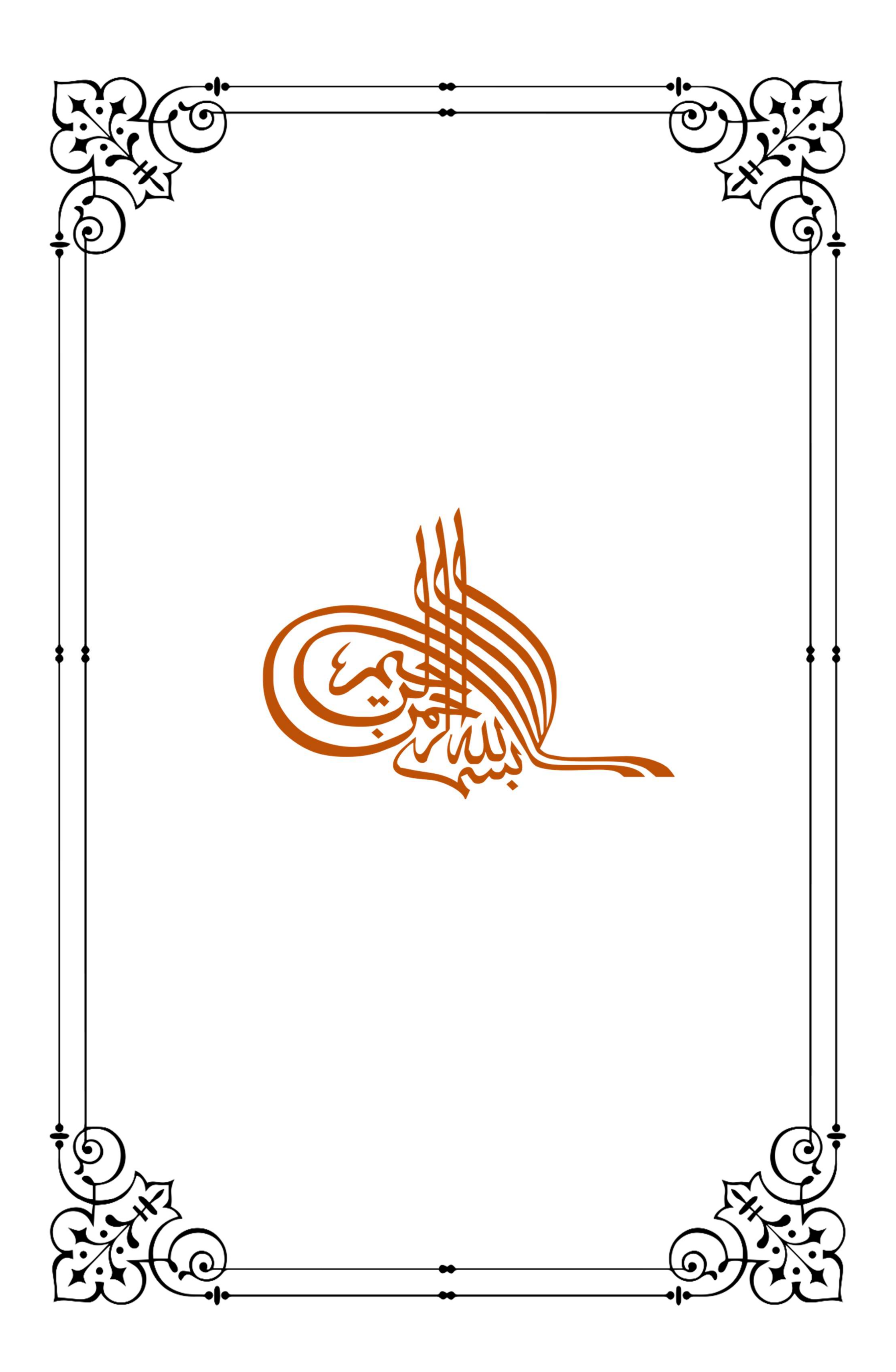


الإِيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد


بسم الله الرحمن الرحيم





مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن الإيمان أمره عظيم، إذ هو الأساس الذي تبنى عليه السعادة في الدنيا والآخرة، فهو من أعظم مراتب الدين، فإن جبريل لما جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حضرة الصحابة، سأله عن الإيمان فقال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)].

ففسر الإيمان على أنه الإيمان بهذه الأركان الستة. وركن الشيء: جانبه الذي يقوم عليه، فركن البيت، هو جانبه الذي يقوم عليه، فالإيمان يقوم على هذه الأركان الستة، فإذا سقط منها ركن لم يكن الإنسان مؤمناً به لأنه فقد ركناً من أركان الإيمان.

(١) متفق عليه.



ولذلك كان لزاماً على كل مسلم أن يتعلم حقائق الدين ليتعرف على الطريقة الصحيحة لعبادة الله عَزَّوَجَلَّ القائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وحديثنا اليوم عن أحد هذه الأركان، وهو الإيمان بالقضاء والقدر، وتأتي أهميته لأنه دعوة للإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبقضائه وقدره، لأن الإيمان بقضاء الله وقدره، إيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وربوبيته، وملكه وتصرفه وخلقه، وإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن، وإيمان بسعة علم الله، وإحاطته بكل شيء، وتقديره للأشياء في الأزل وكتابته لها.



تعريف القضاء والقدر

معناهما لغةً:

القدر لغة: بفتح الدال وسكونها القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عَزَّوَجَلَّ من القضاء ويحكم به من الأمور. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١] يعني الحكم(١).

قال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أودي، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي، فقد قضي وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث(٢).

والقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء، وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه(٣).

معناهما اصطلاحاً:

القضاء والقدر اصطلاحاً: هو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِم الأشياء كلها قبل وجودها وكتبها عنده، وشاء ما وجد منها، وخلق ما أراد خلقه(٤).

ويُعَّرف أيضاً: أَنَّ اللَّهَ عز وجل عَلِمَ مَقَادِيرَ الْأَشْيَاءِ وَأَزْمَانَهَا أَزَلًا، ثُمَّ أَوْجَدَهَا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ عَلَى وَفْقِ مَا عَلِمَهُ مِنْهَا، وَأَنَّهُ كَتَبَهَا فِي اللَّوْحِ قَبْلَ إِحْدَاثِهَا(٥).

ويمكن تعريفه أيضاً: هو تقدير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأشياء في القدم، وعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها.

---

(١) لسان العرب (٦/ ٣٥٤٥).

(٢) لسان العرب (٦/ ٣٦٦٥).

(٣) لسان العرب (٦/ ٣٦٦٥).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ص (٣/ ٣٧٤).

(٥) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص٦٥).

الفرق بين القضاء والقدر

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**القدر في اللغة؛ بمعنى: التقدير؛ قال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، **وقال** جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، **وأما القضاء؛ فهو في اللغة: الحكم. ولهذا نقول: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا؛ على حد قول العلماء: هما كلمتان: إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا. فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعًا؛ فلكل واحد منهما معنى. فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه. وأما القضاء؛ فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقًا**"(١).

أهمية الإيمان بالقضاء والقدر

أولاً: إنَّ الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا به، لذلك تظهر أهمية الكلام عنه، فكيف يُعرف إذا لم يُتحدث عنه، ويُبيَّن للنَّاس أمره؟

ثانياً: الإيمان بالقدر ورد في أعظم حديث في الإسلام، وهو حديث جبريل، وكذلك في آخر حياة النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي قال فيه: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(٢)، فمعرفته من الدِّين، وهو واجب على سبيل الإجمال.

ثالثاً: أنَّ القرآن الكريم مليءٌ بذكر القدَر وتفاصيله، والله أمرنا بتدبُّر القرآن وعقله، كما قال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾.

رابعاً: الصَّحابة سألوا النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عن أدق الأمور المتعلقة بالقدر، كما جاء في صحيح مسلم من حديث سراقة بن مالك بن جُعشم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «**لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ**»، قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»(٣).

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٨٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٤٨).

الأدلة على الإيمان بالقضاء والقدر من الكتاب والسنة والإجماع

أولاً: الأدلة من القرآن:

الأدلة من القرآن الكريم على الإيمان بالقضاء والقدر كثيرة جداً، منها:

١- قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، ومعنى هذه الآية: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قدَّر أن يخلق خلقاً، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثواباً لأهل طاعته، وعقاباً لأهل معصيته، فلما قدَّره كتب ذلك وغيَّبه، فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق، على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة، فكان أمر الله الذي مضى وفرغ منه، وخلق عليه الخلق؛ قدراً مقدوراً[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أَيْ: وَكَانَ أَمْرُهُ الَّذِي يقدِّره كَائِنًا لَا مَحَالَةَ، وَوَاقِعًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا مَعْدَلَ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**"[٢].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، ومعنى هذه الآية: "**أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ، أَيْ عَلِمَ مَقَادِيرَهَا وَأَحْوَالَهَا وَأَزْمَانَهَا قَبْلَ إِيجَادِهَا، ثُمَّ أَوْجَدَ مِنْهَا مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يُوجِدُهُ عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ، فَلَا يَحْدُثُ حَدَثٌ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ إِلَّا وَهُوَ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ دُونَ خَلْقِهِ**"[٣].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أئمةُ السُّنَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ السَّابِقِ لِخَلْقِهِ، وَهُوَ عِلْمُهُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَكِتَابَتُهُ لَهَا قَبْلَ بُرْئِهَا**"[٤].

٣- قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾، أي أنه جاء موافقا لقدر الله وإرادته من غير ميعاد[٥].

٤- قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، أي: جعلنا الماء في مقر يتمكن فيه وهو الرحم، مؤجلاً إلى قدر قد علمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/١١٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٧).
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/١٤٨).
(٤) تفسير ابن كثير (٧/٤٨٢).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٩٣).

وحكم به، فقدرنا على ذلك فنِعم القادرون نحن، وفي قراءة ﴿فَقَدَّرْنَا﴾، فيكون المعنى: فقدَّرنا ذلك تقديراً، فنِعم المقدِّرون له نحن[(١)].

فهذه الآيات تفيد الإخبار عن قدر الله الشامل لكل شيء، وأخبار القرآن مقطوع بها.

ثانياً: الأدلة من السنة:

دلَّت نصوص السنة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً، منها:

١- حديث جبريل المشهور، الذي رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عن أبيه عُمَرُ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: **"أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"**[(٢)].

وفي الحديث دلالة صريحة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره.

٢- حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»**[(٣)].

فنفى الإيمان حتى يؤمن العبد بالقدر، وأن ما يجري عليه إنما هو بقدَر الله لا يتغير أبداً، ونفيُ الإيمان عمن لم يؤمن بالقدر دليل على وجوبه.

٣- حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ»**[(٤)].

فالمراد بالحديث نفي أصل الإيمان عمَّن لم يؤمن بهذه الأربعة: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، ويؤمن بالموت: أي فناء الدنيا، أو اعتقاد أن الموت يحصل بأمر الله لا بفساد المزاج كما يقوله الطبائعيون، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن

---

(١) انظر: تفسير النسفي (٣/٥٨٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١).

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٧٤٣).

(٤) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم ().

بالقدر وأنَّ كل ما يجري بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقضائه(١)، ونفي أصل الإيمان عمن لم يؤمن بهذه الأمور يدل على وجوب الإيمان بها.

٤- حديث طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ، أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ**»(٢).

٥- حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٣).

هذان الحديثان يدلان على التصريح بإثبات القدَر، وأنه عام في كل شيء، حتى إنَّ العاجز قد قدَّر عجزه، والكيْسَ قد قدَّر كَيْسَهُ، فكل ذلك مقدرٌ في الأزل، معلومٌ لله، مرادٌ له(٤)، وهذا يدل على وجوب الإيمان بالقدر.

ثالثاً: الإجماع:

أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَدِلَّةُ الْقَطْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وِالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ سبحانه وتعالى**"(٥).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "**وَمَذْهَبُ السَّلَفِ قَاطِبَةً أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى**"(٦).

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦/٢٩٨).
(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٥).
(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٦).
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢٠٥).
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥٥).
(٦) فتح الباري (١١/٤٧٨).

فهم السلف للقدر وأقوالهم في ذلك

ورد عن السلف الصالح أقوال جميلة، توضح معنى القدر، وتدل على أهميته، وتحث على الإيمان به، وتوصي بالرضا بما يقدره الله ويقضيه، وتحذر من ضد ذلك، وتبين إيمان السلف العميق، وفهمهم الدقيق لذلك الركن العظيم من أركان الإيمان.

ومن ذلك:

١- قال الوليد ابن الصحابي الجليل عُبَادَةَ بنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُونِي. فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: "**يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**". قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: "**تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ، دَخَلْتَ النَّارَ"(١).

٢- قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**الْقَدَرُ: نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، فَإِنَّ تَكْذِيبَهُ بِالْقَدَرِ نَقْضٌ لِلتَّوْحِيدِ**"(٢).

٣- قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى وَضْعِكَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ**"(٣).

٤- عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا فَخَلَقَهُمْ بِقَدَرٍ، وَقَسَمَ الْآجَالَ بِقَدَرٍ، وَقَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ بِقَدَرٍ، وَالْبَلَاءُ وَالْعَافِيَةُ بِقَدَرٍ**"(٤).

٥- وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: "**مِنْ كَذَّبَ بِالْقَدَرِ فَقَدْ كَذَّبَ بِالْإِسْلَامِ**"(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٧/٣٧٨) برقم (٢٢٧٠٥)،

(٢) السنة لعبدالله بن أحمد (٢/٤٢٢)، والشريعة للآجري (٢/٨٧٥).

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري (ص٤٧).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٧٥٥).

(٥) المرجع السابق.

٦- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مرضه الذي مات فيه: "**إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ أَجَلًا وَقَدَّرَ مَعَهُ مَرَضًا وَقَدَّرَ مَعَهُ مُعَافَاةً، فَمَنْ كَذَّبَ بِالْقَدَرِ فَقَدْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ، وَمَنْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ فَقَدْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ**"(١).

٧- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**الْقَدَرُ هُوَ قُدْرَةُ اللَّهِ**"(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقاً على هذه الكلمة: "**واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدًّا، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد، وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء، فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الربّ على خلق أعمال العباد وكتابتها وتقديرها**"(٣).

٨- قال مُطَرِّفِ بنِ عَبْدِاللهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَصْعَدَ فَيُلْقِي نَفْسَهُ مِنْ شَاهِقٍ، وَيَقُوْلُ: قَدَّرَ لِي رَبِّي، وَلَكِنْ يَحْذَرُ، وَيَجْتَهِدُ، وَيَتَّقِي، فَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ، عَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيْبَهُ إِلاّ مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ**"(٤).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله (٣٠٨/٨).

(٣) شفاء العليل لابن القيم (٩٧/١).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩١/٤).

مراتب القدر وأركانه

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان، تسمى مراتب القدر أو أركانه، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيقها كلها، ومن انتقص واحداً منها أو أكثر اختل إيمانه بالقدر، وهذه المراتب هي:

العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق.

المرتبة الأولى: العلم:

يجب الإيمان بعلم الله عَزَّوَجَلَّ المحيط بكل شيء، وأنه عَلِم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم، وحركاتهم وسكناتهم، وأعمالهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار.

ومن الأدلة على هذه المرتبة:

١- قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [سورة الحشر:٢٢].

أي عالم السر والعلانية، أو الدنيا والآخرة، أو المعدوم والموجود[١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:٣٠].

أي أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة[٢]، فعلمه محيط بكل شيء.

٣- قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [سورة الجاثية:٢٣].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **"علم ما يكون قبل أن يخلقه"**[٣].

وقال أيضاً: **"على علم قد سبق عنده"**[٤].

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/٢٤٦).

(٢) شفاء العليل (١/١٠١).

(٣) المرجع السابق (١/١٠٣).

(٤) المرجع السابق (١/١٠٣).

٤- عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ فَقَال: «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(١).

ومعنى ذلك أنهم لو عاشوا فإن الله عالم بأعمالهم خيرها وشرها، فالله يعلم ما كان، وما لم يكن لو كان كيف يكون(٢).

٥- عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**»(٣).

فالله علم أهل الجنة وأهل النار بعلمه القديم، فالحديث يدل على ثبوت العلم الكامل لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

المرتبة الثانية: الكتابة:

وهي أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كتب مقادير المخلوقات، والمقصود بهذه الكتابة: الكتابة في اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لم يُفرِّط الله فيه من شيء، فكل ما جرى ويجري فهو مكتوب عند الله.

ومن الأدلة على هذه المرتبة:

١- قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج:٧٠].

فما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ وأثبته عنده كان في علمه قبل أن يكتبه، ثم كتبه كما في علمه، ثم وُجِدَ كما كتبه عَزَّوَجَلَّ(٤).

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢].

قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ أي من الأعمال والنيات وغيرها. ﴿أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي في كتاب هو أم الكتاب، وإليه مرجع الكتب التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ(٥).

٣- قوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٣٩٣).
(٢) انظر: فتح الباري (٣/٢٤٧).
(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٤٧).
(٤) انظر: شفاء العليل (١/١٢٠).
(٥) انظر: المرجع السابق (١/١٣٧)، وتفسير السعدي

أي ما قدره الله، وأجراه في اللوح المحفوظ(١).

٣- عن عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»**[٢].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **"قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ تَحْدِيدُ وَقْتِ الْكِتَابَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَوْ غَيْرِهِ لَا أَصْلُ التَّقْدِيرِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَزَلِيٌّ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَقَوْلُهُ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ أَيْ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"**[٣].

٤- عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وإلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً، أَوْ سَعِيدَةً»**[٤].

وهذا دليل واضح على الكتابة السابقة، ومنها كتابة أهل الجنة والنار، وكتابة من كان شقيًّا أو سعيداً.

المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة:

أي أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وهذه المرتبة قد دلَّ عليها إجماعُ الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميعُ الكتب المنزلة من عند الله، والفطرةُ التي فَطَر عليها خلقه، وأدلةُ العقول والعيان"**[٥].

ومن الأدلة على هذه المرتبة:

١- قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص٣٣٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢٠٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٣٧٠).

(٥) شفاء العليل (١/١٤٧).

في هذه الآية دليل على عموم خلقه تَبَارَكَ وَتَعَالَى لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده عَزَّوَجَلَّ باختيار من يختاره ويختصه من الأشخاص، والأوامر، والأزمان، والأماكن، وأن أحداً ليس له من الأمر والاختيار شيء(١).

٢- قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤].

٤- قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام:١١١].

٥- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩].

٦- عن عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: قال رَسُولَ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»(٢).

٧- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ، وَرُبَّمَا قَالَ: جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: «**اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ**»(٣).

ففي الحديث بيان أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقضي على لسان رسوله ما شاء، أي: يظهر على لسان رسوله بالوحي أو الإلهام ما قدَّره في علمه بأنَّه سيقع(٤)، فهذا يدل على مرتبة المشيئة.

المرتبة الرابعة: الخلق:

أي أن الله خالق كل شيء، من ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه.

ومن الأدلة على هذه المرتبة:

١- قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢].

---

(١) انظر: المرجع السابق (١/١٥٢)، وتفسير السعدي (ص٦٢٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٤).

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر: فتح الباري (١٠/٤٥١).

٢- قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك:٢].

٤- قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء:١].

٥- قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣].

٦- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣].

٧- عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: أَمْلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(١).

والشاهد من ذلك قوله: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ»، فالمعطي والمانع هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهو الفاعل لذلك، وهذا يدل على أنَّ الخالق هو الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٨٥٣).

الواجب على العبد في باب القضاء والقدر

الواجب على العبد في هذا الباب أن يُؤمن بقضاء الله وقدره، وأن يُؤمن بشرع الله، وأمره، ونهيه، فعليه تصديق الخبر، وطاعة الأمر.

فإذا أحسن حَمِدَ الله، وإذا أساء استغفر الله، وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره؛ فإن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أذنب تاب، فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصرَّ واحتج فلعنه الله وأقصاه، فمن تاب كان آدمياً، ومن أصرَّ واحتج بالقدر صار إبليسياً، فالسعداء يتبعون أباهم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس[١].

"وبالمراعاة الصحيحة لقدر الله، وشرعه، يصير الإنسان عابداً حقيقةً، فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من أنبياء، وصديقين، وشهداء، وصالحين، وكفى بهذه الصحبة غبطة وسعادة"[٢].

وبالجملة فعليه أن يؤمن بمراتب القدر الأربع السابقة، وأنه لا يقع شيء إلا وقد علمه الله، وكتبه، وشاءه، وخلقه، ويؤمن أيضاً بأن الله أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة، ويترك المعصية، فإذا وفقه الله لفعل الطاعة وترك المعصية فليحمد الله، وليستمر على ذلك، وإن خُذِل ووُكل إلى نفسه فَفَعَل المعصية، وترك الطاعة فعليه أن يستغفر ويتوب.

ثم إن على العبد أيضاً أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويمشي في مناكبها، فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله، وعلم أن ذلك كله واقع بقدر الله عَزَّوَجَلَّ وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ أَنَّ لِلَّهِ فِيمَا خَلَقَهُ وَمَا أَمَرَ بِهِ حِكْمَةً عَظِيمَةً كَفَاهُ هَذَا ثُمَّ كُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمًا وَإِيمَانًا ظَهَرَ لَهُ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ مَا يُبْهِرُ عَقْلَهُ وَيُبَيِّنُ لَهُ تَصْدِيقَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ"**[٣].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٦٤).

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (٢/١٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٩٧).

ثمرات الايمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح يثمر ثمراتٍ جليلة، وأخلاقاً جميلة، يعود أثرها على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، من هذه الثمار:

١- أداء عبادة الله عَزَّوَجَلَّ: فالإيمان بالقدر مما تعبَّدنا الله به، وكمال المخلوق في تحقيقه العبودية لربه، وكلما ازداد تحقيقاً للعبودية ازداد كمالُه، وعلت درجتُه.

٢- الخلاص من الشرك: فالمجوس زعموا أن النورَ خالقُ الخيرِ، والظلمةَ خالقةُ الشرِّ، والقدرية قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد، بل العباد يخلقون أفعالهم؛ فأثبتوا خالِقِينَ مع الله جل وعلا. وهذا الضَّلال شركٌ، والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد لله عَزَّوَجَلَّ.

فالمؤمن بالقدر يعلم أن جميع الكائنات واقعة تحت قهر الله، وليس لها من الأمر شيء، فلا تملك لنفسها نفعاً أو ضرّاً، كما يعلم علم اليقين بأن الأمور بيد الله؛ فهو المعطي لمن شاء، المانع لمن شاء، لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، وهذا يبعثه إلى إفراد الله بالعبادة وحده دون من سواه، فلا يتقرب لغير الله، ولا يتمسح بأتربة القبور وعتبات الصالحين.

٣- حصول الهداية وزيادة الإيمان: فالمؤمن بالقدر على الوجه الصحيح يتحقق توحيده، ويزيد إيمانه، ويسير على هُدى من ربه؛ لأن الإيمان بالقدر من الاهتداء، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]. ويقول: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١].

قال علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: **"هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قِبلِ الله تعالى فيُسلِّم ويرضى"**(١).

٤- صحة التوكل وتمامه: فالتوكل على الله هو لُبُّ العبادة، ولا يصح التوكل ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر على الوجه الصحيح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"قال شيخنا رضي الله عنه: ولذلك لا يصحُّ التوكُّل ولا يُتصوَّر من فيلسوف، ولا من القدريَّة النُّفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاؤه،**

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/٢٩٣).

ولا يستقيم أيضًا من الجهميَّة النُّفاة لصفات الربِّ، ولا يستقيم التوكُّل إلّا من أهل الإثبات"(١).

والتوكل في لسان الشرع إنما يراد به توجه القلب إلى الله حال العمل، واستمداد المعونة منه، والاعتماد عليه وحده؛ فذلك سر التوكل وحقيقته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إذا فَوَّضَ إلى ربه ورضي بما يختاره له؛ أمدَّه فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصَرَفَ عنه الآفاتِ التي هي عُرضة اختيارِ العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه...ويُرِيحه من الأفكار المُتعِبة في أنواع الاختيارات، ويُفرِّغ قلبَه من التقديرات والتدبيرات التي يَصعد منها في عقبةٍ وينزلُ في أخرى"**(٢).

٥- الخوف من الله: فالمؤمن بالقدر تجده دائماً على خوف من الله، وعلى حذر من سوء الخاتمة؛ إذ لا يدري ما يُفعل به، ولا يأمن مكر الله، ولذلك يرى عمله قليلاً، ولا يغتر به مهما كان؛ فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء، والخواتيم علمها عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ -أَوِ: الرَّجُلَ- يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**»(٣).

وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»(٤).

٦- قوة الرجاء وإحسان الظن بالله: فالمؤمن بالقدر حَسَنُ الظن بالله، قويُّ الرجاء به؛ لعلمه بأن الله لا يقضي قضاءً إلا وفيه تمام العدل والرحمة والحكمة.

---

(١) مدارج السالكين (٢/٣٩١).

(٢) الفوائد لابن القيم (صـ٢٠٠) بتصرف يسير.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٦٠٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٦١٥).

فلا يتهم ربه فيما يجريه عليه من أقضيته وأقداره، ويرضى بما يختاره له سيده، وينتظر الفرج ويترقبه، وذلك يخفف المشقة، ولاسيما مع قوة الرجاء.

٧- الرضا: فالمؤمن بالقدر يَصِلُ إلى منزلة الرضا، فمن رضي عن الله رضي الله عنه، بل إن رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**من ملأ قلبه من الرضا بالقدر ملأ الله صدره غنىً، وأمناً، وقناعةً، وفرَّغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضا امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه، فالرِّضا يفرِّغ القلب لله، والسخط يفرِّغ القلب من الله**"(١).

وليس من شرط الرضا ألا يحس العبدُ بالألم والمكاره، بل الواجب ألا يعترض على الحكم، ولا يتسخط.

٨- الفرح: فالمؤمن بالقدر يفرح بهذا الإيمان الذي حُرِمَ منه أكثر الخلق، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

والمؤمن بالقدر قد يرتقي به الحال من الرضا بقضاء الله والشكر له حتى يصل إلى منزلة الفرح، فيفرح بكل ما يقدره الله ويقضيه عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**الفرح أعلى نعيم القلب، ولذته وبهجته، فالفرح والسرور نعيمه، والهم والحزن عذابه. والفرح بالشيء فوق الرضا به؛ فإن الرضا طمأنينة، وسكون، وانشراح. والفرح لذة، وبهجة، وسرور؛ فكلُّ فَرِحٍ راضٍ، وليس كلُّ راضٍ فَرِحاً؛ ولهذا كان الفرح ضد الحزن، والرضا ضد السخط، والحزن يؤلم صاحبه، والسخط لا يؤلمه إلا ما كان مع العجز عن الانتقام، والله أعلم**"(٢).

٩- تحرير العقول من الخرافات والأباطيل: فالمؤمن بالقدر يؤمن بأن ما جرى وما يجري، وما سيجري في هذا الكون إنما هو بقدر الله عَزَّوَجَلَّ، وأن قدر الله لا يعلمه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يُطلع عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول.

ومن هذا المنطلق تجد المؤمن بالقدر لا يعتمد على الدجَّالين والمشعوذين، ولا يذهب إلى الكهان والمنجمين والعرافين، ولا يعتمد على أقوالهم، ولا ينخدع بكذبهم وخداعهم ودجلهم؛ فيعيش سالماً من زيف هذه الأقاويل، متحرراً من جميع تلك الخرافات والأباطيل.

---

(١) مدارج السالكين (٢/٥٣١).

(٢) مدارج السالكين (٤/٨).

١٠- الصبر: فالإيمان بالقدر يثمر لصاحبه عبودية الصبر على الأقدار المؤلمة، والصبرُ من جميل الصفات التي يتصف بها المسلم، له فوائده الكثيرة، وعوائده الكريمة، وله عواقبه الجميلة، وآثاره الحميدة.

وكل أحد من الناس لابد له من الصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً وإما اضطراراً؛ فالكريم يصبر اختياراً؛ لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يُحمد عليه، ويُذم على الجزع.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ**"(١).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: "**الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْخَيْرِ، لَا يُعْطِيهِ اللَّهُ إِلَّا لِعَبْدٍ كَرِيمٍ عَلَيْهِ**"(٢).

ولهذا تجد المؤمن بالقدر صبوراً، يتحمل المشاق، ويقوم بالأعباء. بخلاف ضعيف الإيمان بالقدر، الذي لا يقوى على احتمال، ولا يصبر على أدنى شيء يعترضه؛ بسبب ضعف إيمانه، ورخاوة نفسه، وانزعاجها العظيم للشيء الحقير؛ فما إن يصاب بالتافه من الأمر حتى تراه ضيق الصدر، مهموم القلب، لا يقدر على نوم ولا أكل ولا شرب، وما أصابه لو أصاب من هو أقوى منه إيماناً واحتمالاً لم يُلقِ لها بالاً، ولم تحرك منه نفساً، ولَنَامَ ملء جفونه، رضيَّ البال، قرير العين.

١١- التواضع: فالإيمان بالقدر يحمل صاحبه على التواضع مهما أوتي من مال، أو جاه، أو علم، أو شهرة، أو نحو ذلك؛ لعلمه بأن ما أوتيه إنما هو بقدر الله، وأنه عَزَّوَجَلَّ لو شاء لانتزعه منه. ومن هنا يتواضع لله عَزَّوَجَلَّ ويتواضع لبني جنسه، ويبتعد عن الكبر والخيلاء.

وإذا تواضع الإنسان علا قدره، وكَبُرَ فضله، وعَظُمَ في القلوب وقارُه، وزاده الله شرفاً ورفعة؛ فمن تواضع لله رفعه، وإذا رفع الله عبداً فمن ذا الذي سيخفضه؟

١٢- السلامة من الحسد والاعتراض: فالإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها، وذلك مثل الحسد؛ فالمؤمن بالقدَر لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم أرزاقهم، فأعطى من شاء، ومنع من شاء، ابتلاءً، وامتحاناً، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقاً، كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه (صـ٢٧).

فإذا آمن بالقدر سَلِمَ من الحسد، وسَلِمَ من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، وأقداره الكونية، وسَلَّم لله في جميع أموره.

١٣- محاربة اليأس: فالذي لا يؤمن بالقدر يصيبه اليأس والقنوط؛ فإذا أصيب ببلاء ظن أنه قاتله، وركبه اليأس من أي فرج.

فاليأس سم قاتل، وسجن مظلم، يُعَبِّسُ الوجه، ويصد النفس عن الخير، ولا يزال بالإنسان حتى يهلكه، أو ينغص عليه حياته.

أما المؤمن بالقدر فلا يعرف اليأس، ولا تراه إلا متفائلاً في جميع أحواله، منتظراً الفرج من ربه، عالماً بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.

وتراه موقناً تمام اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين، وأن قدر الله في ذلك نافذ لا محالة، فلا يتسلل إليه اليأس أبداً، فاعتماد القلب على قدرة الله، ولطفه، وكرمه؛ يستأصل اليأس من القلب والنفس.

١٤- قوة الاحتمال: فالمؤمنون بالقدر حقاً هم أقوى الناس نفوساً، وأكثرهم احتمالاً، وأقلهم جزعاً، والذين لا يؤمنون بالقدر يجزعون لأتفه الأسباب، بل ربما أدى بهم الجزع إلى الجنون، والوسوسة، وتعاطي المخدرات، وقتل النفس.

ولذلك يكثر الانتحار في البلاد التي لا يؤمن أهلها بالقضاء والقدر، كأمريكا والسويد، والنرويج، وغيرها، بل لقد وصل الأمر ببعض البلاد إلى فتح مستشفيات للانتحار!

ولو بحثنا عن أسباب انتحارهم لوجدناها تافهةً جداً، لا تستدعي سوى التغافل وغض البصر عنها؛ فبعضهم ينتحر؛ لتخلي خطيبته عنه، وبعضهم بسبب رسوبه في الامتحان، وبعضهم بسبب وفاة المطرب الذي يحبه، أو الشخص الذي يعجبه، أو بسبب هزيمة الفريق الذي يميل إليه وهكذا، وقد يكون الانتحار جماعياً، والعجيب في الأمر أن غالبية المنتحرين ليسوا من طبقة الفقراء حتى يقال: انتحروا؛ لضيق معيشتهم، بل إنهم من الطبقة الغنية المغرقة في النعيم، بل ويقع الانتحار من المشاهير، بل ومن الأطباء النفسيين الذي يُظَنُّ أنهم يجلبون السعادة، ويحلون المشكلات!

ولقد أصبح الانتحار سمة بارزة في تلك المجتمعات، وصارت نسبته تتزايد، وتهدد الحضارة الغربية بأكملها.

ولقد أقلق الانتحار علماء الاجتماع في تلك البلاد؛ حيث أصبح عدد المنتحرين يفوق عدد القتلى في الحروب، وفي حوادث السيارات.

ومن الأشياء التي استحدثوها للتخفيف من الانتحارات المتزايدة إنشاء مراكز تتلقى مكالمات المقدمين على الانتحار، أو من لديهم مشكلات عاطفية، أو الذين يعانون ضيق الصدر.

ترى لو كانوا يؤمنون بالله وبقدره، هل يكون هذا مصيرهم؟

١٥- القناعة وعزة النفس: فالمؤمن بالقدر يعلم بأن رزقه مكتوب، وأنه لن يموت حتى يستوفيه، وأن الرزق لا يجلبه الحرص، ولا يمنعه الحسد، وأن الخلق مهما حاولوا إيصال الرزق إليه، أو منعه عنه فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله له.

وإذا رزق العبد القناعة أشرقت عليه شمس السعادة.

وإن كان بعكس ذلك تنغصت حياته، وزادت آلامه وحسراته، بسبب نفسه الجشعة الشرهة، ولو مسَّتها القناعة لقلَّت مصائبه؛ لأن الشَّرِهَ سجين المطالب، أسير الشهوات.

الخاتمة

الإيمان بالقضاء والقدر فيه سعادة المسلم، وبه تنشرح الصدور، فما أجمل حياة العبد حينما يسلِّم أموره لخالقه، فيرضى بما قدَّره عليه، ولا يضجر ولا يتسخط، بل يؤمن بأن كل ما أصابه إنما هو بتقدير خالقه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والإيمان بأقدار الله عَزَّوَجَلَّ طمأنينةٌ للمؤمن وفلاحٌ له وسعادةٌ في دنياه وأخراه.

إن الإيمان بالقدر يطرد عن العبد الأوهام والمخاوف والقلق، فيكون مطمئنًا بإيمانه، عالماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، إذا حلَّ به المصاب ونزلت به البلوى؛ علِم أن ما أصابه بإذن الله، فيرضى ويسلِّم بقضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يُعجَب بأعماله مهما كثرت أعماله وتنوعت طاعاته؛ لأنه يعلم أن هذا فضل الله ومنُّه ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢٩].

والمؤمن بقضاء الله وقدره هو في حياته كلها متوكلٌ على الله، مستعينٌ بالله، ملتجئٌ إلى الله جَلَّجَلَالُهُ، كثيرُ الدعاء، كثيرُ السؤال، كثيرُ الطلب، كثيرُ الإلحاح على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان من أعظم وأكثر دعاء نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[١]؛ وهذا من الإيمان بالقدر، وأن الأمور كلها بيد الله جَلَّجَلَالُهُ.

فمسألة الإيمان بالقضاء والقدر مسألة عظيمة، وهي من أهم المسائل التي يجب على المسلم أن يستحضرها في كل أحواله، حتى يعيش مرتاح البال، سليم القلب، لأن الإيمان بهما يولِّد شعوراً بالرضى والاستسلام.

فالواجب على العبد أن يؤمن بقضاء الله وقدره، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، ومتى كان المسلم مؤمناً بقدر الله وقضاءه كان عابداً حقيقةً، فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل كل قضاء قضاه لنا خيراً.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢١٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٩١).